دولة ليبيا
وزارة التعليم
مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية

اللغة العربية

للسَّنة الأولى
بمرحلة التَّعليم الثَّانويّ

الاسبوع الحادي والعشرون

المدرسة الليبية بفرنسا ـ تور

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

القصة القصيرة في الأدب الحديث

المعاش- عبدالعزيز نجم

مُنْذُ أن عَرَف الأدب العربيّ القصّة القصيرةَ في العصر الحديث أُغرِم بها الأُدباء ، فانتشرت انتشاراً واسعاً من خلال الصّحف والمجلاّت ، ثُمّ في الكُتُب الّتي تضمّ منها المجموعات تحت عنوان يتخيّره الكاتب ويكون في العادة معبّراً عن الفكرة ، أو الهدف الّذي تَتّفق فيه قصص المجموعة الواحدة ، على أنّها غدت من أشدّ الأجناس الأدبيّة التصاقاً بالبيئة ، وأكثرها معالجةً للمشكلات الاجتماعيّة والإنسانيّة والفلسفيّة ، وأقربها إلى نفوس الخاصّة والعامّة ؛ لما تتّصف به من خفّة وبساطة ، وواقعيّة ، وسهولة انتشار .

وهذه إحدى القصص الّتي تنتمي إلى هذا الجنس الأدبيّ ، وهي للقاصّ عبدالعزيز نجم ، تخيّرناها من مجلة الثقافة العربيّة إحدى المجلاّت ؛ لقصرها الّذي يتناسب مع منهج هذا الكتاب ، ولطرافتها ، ثمّ لأنّها تُعالج مشكلة لصيقةً بالحياة الاجتماعيّة اليوميّة .

النّصّ:

لست أدري لماذا يختارني دون غيري في هذه الحديقة الفسيحة الوديعة ، يجلس إلى جواري ، يحكي حكايات آلته ، تلك الساعة الثمينة التي اشتراها منذ فترة قريبة .

لم يحدد لي تاريخ الشراء ، لكنه أخبرني بإحالته على المعاش منذ شهور قليلة ، وأنه يحضر هنا بعد خروجه من المستشفى لتنشيط عضلات فخذيه على إثر سقوطه من فوق درجات سلّم المصلحة المحطمة ، تلك التي عاشرها لأربعين سنة لا يخطئها ، دوماً كان ينجح في اجتيازها حتى لو كان منهمكا في حديث مع عامل ، إلا يوم استلامه أوراق المعاش ومكافأته .

على أنّي لا أدرك سرّ فشلي في محاولاته معي ، حتى حرمت نفسي من شمس الخريف الدافئة وغيرت ميعادي . ينجح في اللحاق بي ، يدهشني إصراره على جملته التي تقدم بها إليَّ أوّلَ مرة حتى أقبله شريكاً لي على الأريكة الرخامية ، يقول :

- إني أمتدح ذكاءك في اختيار هذا الموقع الهادئ ، وأمتدح الظِّلّ ، ولأني لا أجد هاتين الميزتين لا أطلب تفسيراً ، ربما خجلاً من النغمة التي يتحدث بها ، ومِنْ هَالة الوقار الهائمة حول سَحْنته .

- ثم تساءلتُ :

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية - ليبيا

- لعلها المصادفة!؟

أيقنت أنه يتربصني ، تعودت اقتحامه المباغت ، رأيت من بعيد يرفع إطار نظَّارته المدعمة بالشريط اللاصق الطبي ، يلتقمني بعينيه المجردتين ، قال لي إنه وَرِث عن أبيه بُعد النظر ، ويفيضُ في وصفه لنعمة طول النظر عليه ، وأعجزُ أنا عن إفهامه الفارق بينهُمَا .

يقطع المسافة بين موقعينا في خطوات وئيدة ، منثني الرَّقبة ، منحني الجذع ، حتى يرتطمني من فرط انهماكه في العبث بأزرار ساعته الفخمة .

حِرْتُ في أمره ، لم أعد أسأله في شيء ، فهو لا يجيب إلا عمّا يريد الحديث عنه . تعودت أن يبدأ معي بالسؤال عن موقع عَقْرَبَي ساعتي ، أجيب بالساعة والدقيقة والثانية ، مرة واحدة حاولت الاعتراض بأنها غير دقيقة وقد ورثتها عن جدّي ، هاج في وجهي ولعن كُلَّ الشبابِ فِيَّ .

فانقضضتُ عليها ، أتحسسها وأنظر فيها مليًا ، أتأمل إطارها الذهبي اللامع ، وكيف تصبح بوصلة تحدد القبلة ، وميقاته يدق جرسها في مواقيت الصلاة ، تكشف عن ذاكرة لأرقام الهواتف ، وأكثر ما بهرني هو أنها تسجل الأجزاء من الثانية ، وهو ما يجعلها صالحة لمسابقات العدو ، كما يمكنها تحديد اليوم والشهر والسنة ، وإن كان الوقت نهاراً أو ليلاً ، كان شيخنا يستخدمها وهو تحت سطح المحيط .

انقضت شهور وأنا داخل غابة هموم الشيخ مع ساعته القيّمة ، حتى فاجأني في عصرية يوم شتوي جديد بالاختفاء .

الخصائص الفنيّة :

دون أن نتطلّع إلى عنوان هذه القصّة ندرك أنّها تعالج مشكلةً تتعلّق بحياة ذلك الإنسان الّذي يبلغ سنّ التّقاعد فيحال على المعاش ، وينتابه الشعور بأنّه أُزيح إلى هامش الحياة الجادّة المثمرة ، وأصبح كمًّا مهملاً يعدّ بالسّاعات والدقائق والثّواني ما بقي في عمره من أيّام ، ومن هنا كان اقتناؤه لهذه السّاعة الّتي أفلح الكاتب في جعلها رمزاً يلخّص كلّ ما يمكنً أن يقوله في وصف هذا الشّيخ العجوز .

وتبدو لنا صورة الْمَقْعَدِ الرّخاميّ رمزاً آخر لما يشكّله ثقل الانتظار على نفس لم تَعُدْ تصنع شيئاً غير أن تنتظر ، ذلك خاصّة وهو يتمركز في «هَذِهِ الْحَدِيقَةِ الْفَسِيحَةِ الْوَدِيعَةِ» الّتي بدت مسرحاً وحيداً لأحداث القصّة .

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وليتبيّن لك مدى قصر القصّة القصيرة ، ومدى بساطة تركيبها لاحظ عدد الشّخصيّات في هذه القصّة ؛ لتجد أنّه لا يتجاوز الشّخصيّتين ؛ شخصيّة الشّيخ العجوز المتقاعد ، وشخصيّة الرّاوي الّتي يمثّلها الكاتب ، ثُمّ لاحظ المكان فيها لتجد أنّه لا يتعدّى كونه تلك السّاحة (أو ذلك المقعد الرّخاميّ) في تلك الحديقة .

ويُلحظ الحوار القصير المختزل الّذي يدور قسم منه حول السّاعة ، ويُعرض الكاتب عن أن يُطلعَنَا على شيء منزه إلاّ في هذه الإشارة المقتضبة : «يَجْلِسُ إِلَى جِوَارِي ، يَحْكِي حِكَايَاتِ آلَتِهِ» ، أو في هذه الإشارة : «تَعَوَّدْتُ أَنْ يَبْدَأَ مَعِي بِالسُّؤَالِ عَنْ مَوْقِعِ عَقْرَبَيْ سَاعَتِي ، أُجِيبُ بِالسَّاعَةِ وَالدَّقِيقَةِ وَالثَّانِيَةِ» ، وأمّا القسم الآخر فيتجلى في عبارتين ، إذ تنطق كلّ من الشّخصيتين بواحدةٍ منهما ، ثمّ لا تلقى عليها ردًا ، الأمر الّذي يُشعرك بخلوّ ذلك اللّقاء كلّه بين الشّخصيّتين من أي معنى أو أي هدف سوى تزجية الوقت والانتظار الّذي يُفضي إلى العدم الماثل في اختفاء الشيّخ في نهاية القصّة .

وإذا شئت الموازنة بين هذه القصّة الحديثة وما عرضناه عليك ممّا ينتمي إلى أجناس القصص القديمة فعليك أن تلاحظ مدى دقّة الوصف والاعتناء بالتّفاصيل المتعلّقة بالشخصيات وبالمكان ، وهو أمر يبدو غائباً عن الأجناس القصصية القديمة .

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية - ليبيا